دولة حضارية.. كيف بناها الملك عبدالله؟

** هناك من يعرفون الدولة بأنها كيان سياسي يقوم على شؤون شعب ووطن.. وهناك من يطلقون مصطلح الدولة على مقومات السيادة الثلاثة المعروفة.. الأرض.. والشعب.. والنظام.. وهناك من ينظرون للدولة أي دولة على أنها القوة القادرة على بسط الهيمنة وتكريس سلطة النظام بكل الأدوات والوسائل النظامية والقانونية.

** ورغم هذا التفاوت الكبير في تحديد مصطلح الدولة أو النظام.. إلا أن الجميع يتفقون على أن الدول تقوم من أجل رعاية مصالح الناس.. وإن اختلف الجميع في تحديد مفهوم «مصالح الناس» وإن تفاوتوا في اجتهاداتهم..

** والأخطر من هذا أن هذا الاختلاف يجيء في صورة «تطويع» للأنظمة والقوانين والدراسات.. و«توظيف» للمؤسسات التي تدير شؤون الدولة.. من تشريعية وقضائية وتنفيذية وفقاً لما تراه قوى السلطة المنفذة في هذه الدولة أو تلك.

** ونحن كدولة عضو في الأمم المتحدة وجزء من نظام دولي معتمد ومتفق عليه ومتعارف، لا نستطيع إلا أن نكون جزءا من هذه المنظومة.. بكل مقتضياتها السياسية والقانونية والأخلاقية وذلك أمر طبيعي وينسحب على كل دولة في هذا العالم.

** غير أننا نستطيع القول: دولة مختلفة عن كل دول العالم في طبيعة وخصائص نظامنا السياسي.. وإن كان نظام الحكم لدينا قد أوضح ملامح هذا الاختلاف من أول مادة وحتى آخر مادة فيه.

** وباختصار شديد.. فإن المملكة العربية السعودية كما بلور شخصيتها الملك عبدالله بن عبدالعزيز على مدى السنوات الثماني دولة حضارية بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معان ودلالات.

** نحن دولة تجمع بين الروحي والمادي.. ليس فقط في ممارساتها وتطبيقاتها اليومية في الداخل وإنما في تعاملها مع دول وشعوب العالم.. وإلا فمن كان يفكر في أن تقود المملكة العربية السعودية هذا العالم إلى فكرة الحوار بين أرباب الأديان والثقافات المختلفة.. بعد أن ظن البعض أن هذه البلاد دولة دينية، وأن من طبيعة الأنظمة الدينية أن تنكفئ على نفسها وأن تغلق كل الأبواب والجسور بينها وبين دول وشعوب العالم وتقاطع كل ماله علاقة بالتطور في أشكاله المختلفة.

** هذا الفهم المغلوط للنظام الإسلامي أولا.. ثم لطبيعة النظام السياسي القائم في المملكة العربية السعودية يرجع إلى النظرة المشوشة التي يرتهن لها بعض الباحثين والمتخصصين ممن يقسمون الأنظمة السياسية إلى نظامين.. نظام الدولة الدينية ونظام الدولة المدنية..

** هذا التقسيم وإن كان صحيحاً ومنطقياً.. إلا أن العبرة بالتطبيق والممارسة.

** فما أكثر ما نرى في هذا العالم أنظمة مدنية.. لكنها أبعد ما تكون في تطبيقاتها عن الديمقراطية.. والمؤسساتية.. واحترام الحقوق والحريات والعناية بالإنسان الفرد والحفاظ على المكتسبات.. بل إن بعضها أصبح مرتعاً للفساد والتخلف والفوضى.

** كما أننا شهدنا ونشهد أنظمة وصفت بأنها دينية.. لكن ممارساتها على الأرض تقول إنها إما أن تكون مرتعاً للظلام والاستبداد والتسلط والإقصاء وإما أن تكون مباءة للانحراف بكل صوره وألوانه.. ولنشر الإرهاب والعنف والتعسف والجور والكراهية في أرجاء الأرض.

** هذان النموذجان «الكريهان» من الأنظمة المتزمتة والمضطربة.. استبعدتهما المملكة العربية السعودية تماماً من حسابها.. وطرحت نموذجها الجديد والحضاري المتميز.. وقدمت وتقدم الدليل على أنه «الأنموذج» الذي يحتاج إليه العالم كثيراً.. وتحتاج إليه منطقتنا العربية على وجه التحديد.. وإن كان مطروحاً للتبني والتطبيق في الدول الإسلامية أيضاً..

** فالإسلام الذي يقدمونه.

** والإسلام الذي يتحدثون عنه.

** والإسلام الذي يخطئون فهمه..

هاشم عبده هاشم

هو الإسلام الذي قال عنه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في أكثر من مؤتمر ولقاء دولي وعالمي جمعه بصفوة مفكري هذا العالم وقياداته السياسية والحقوقية والدينية بأنه مفتاح حياة الإنسان إلى المزيد من التقدم والتنمية والتفاهم والانفتاح.. لأن الإسلام دين وسطي.. يجمع بين أمري الدين والدنيا ويفتح أمام الإنسان آفاقاً معرفية واسعة عندما يحث من يدينون به على استخدام العقل بقوة ويحث البشرية على التفكر.. والتدبر.. عندما تتساءل آيات الكتاب الحكيم..

أفلا تفكرون؟! أفلا تعقلون؟ وكذلك عندما يذكرنا في قوله تعالى «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

** تلك هي بداية ملامح الشخصية الإسلامية الحضارية الإنسانية التي كرسها الملك عبدالله بن عبدالعزيز ليس فقط في إدارته لشؤون هذه البلاد اليومية وإنما في علاقات بلاده مع سائر دول وشعوب العالم.. ورسخ معها مفهوم «الدولة العالمية» بخصائصها وصفاتها «الإنسانية» قبل أن تكون الدولة شعارا مفرغاً من المضمون.. وكذلك قبل أن تكون مجرد نصوص وقوانين جامدة.. أو غير قابلة للتطبيق.. أو أن تطبيقاتها لاتحترم في الإنسان إنسانيته.. ولا تحافظ على أبسط حقوقه..

** نقول هذا اليوم ونحن نعيش الذكرى الثامنة من سنوات حكم تميز بأنه جمع بين ثلاث خصائص في آن واحد.

* الخاصية الأولى:

وتتمثل في الاهتمام بالشعب والخوف عليه والقلق على مصالحه والتفكير المتواصل في حقوقه وسلامته..

* الخاصية الثانية:

وتتمثل في الإغداق على الوطن وذلك باتباع سياسات الإنفاق المفتوح رغم كل المحاذير التي تبالغ كثيراً في حسبان آثار هذا التوجه تضخماً من شأنه أن يضر بالاقتصاد العام كما يتوقع البعض.

* الخاصية الثالثة:

وتتمثل أيضاً في القدرة الفائقة على المواءمة بين تحقيق معدلات عالية من السرعة في الإنجاز واستثمار الفوائض المالية العالية وبين تبعات تسارع الخطوات وآثارها الاقتصادية أو الأمنية.

هذه القدرة الفائقة هي التي يدير بها الملك الإنسان عبدالله بن عبدالعزيز شؤون هذه البلاد ويحافظ معها على ارتفاع درجة الاستقرار والطمأنينة في وطن تحيط به الكثير من التحديات والأخطار من كل جانب.

ولاشك أن حكمته (يرعاه الله) وبعد نظره المعتمدين أولا وأخيراً على الإيمان بالله سبحانه وتعالى.. والثقة بالشعب.. والحرص على تحقيق السلامة للوطن.. لاشك أن هذه الأسس هي التي حفظت بلادنا من كل ما تعرضت له دول أخرى من الاهتزاز والفوضى أو التخلف والانحلال.. أو الفرقة في التوترات والأزمات التي تقذف بها في المجهول.

** نحن إذا نعيش نموذجنا المتميز ليس فقط من أجل المحافظة على سلامة وطننا بعيداً عن كل تلك الأوضاع وإنما من أجل الذهاب إلى ماهو أبعد وأبعد..

** وللدلالة على حنكة القيادة وسلامة التوجه والتفكير في المستقبل البعيد هو سلسلة الأنظمة والمراجعات والمشاريع والتوجهات الخلاقة.. ويكفي للتدليل على ذلك التذكير بعدد الجامعات الكبير التي افتتحت خلال السنوات الأخيرة في بلادنا وكذلك برنامج الابتعاث إلى الخارج الذي سيعيد إلينا أبناءنا معززين بالخبرة والتصميم على صناعة المستقبل الجديد. فضلا عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الشاملة التي تعم البلاد.

كل ذلك سوف تحفظه الأجيال القادمة للملك الإنسان والشجاعة الكبيرة التي يدير بها حفظه الله شؤون هذه البلاد وعلاقاتها مع دول كثيرة في هذا العالم وفي إطار الاحترام المتبادل رغم الفارق الكبير بيننا وبينهم في الخبرة أو التأثير في هذا العالم.

نذكر كل هذا ونذكر معه أننا شعب مطالب بأن نكون أوفياء وصادقين مع أنفسنا وقيادتنا.. وأهدافنا التي رسمت بعناية.. والتي تحتاج إلى المزيد من التلاحم والولاء والانتماء الذي ترتقي به الأوطان وتتغلب على أكبر التحديات المحيطة بها.

** ولعلنا نأتي إلى هذا المكان في مثل هذا الوقت من العام القادم لنتحسس موضع أقدامنا من غد الدولة الحضارية التي أسسها الملك عبدالله استكمالاً واستمراراً لدولة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وجهود أبنائه الذين تعاقبوا على حكم هذه البلاد.. وإلى جانبهم شعب وفي وصادق وأمين.